المحاضرة الثانية

تقـــــــوى اللـــــــه

نتحدث اليوم-بإذن الله- عن موضوع: إذا رسخ في القلب، وعم المجتمع، فإن كل إنسان يكون مطمئناً على نفسه، وعلى أرضه وعلى عرضه، وعلى دوره وعلى حقه وعلى مكتسباته، و إذا انتزع من القلب و انعدم من المجتمع، أصبح الإنسان خائفاً على كل شيء وأصبح كل مصلحة في ذلك البلد بحاجة إلى شرطي، فإذا إنعدمت التقوى في قلب ذلك الشرطي، أصبح كل شرطي بحاجة إلى شرطي آخر وهكذا.

ولعل هذا الموضوع أكثر ما يوضحه في الذهن ويوقظ به الفكر ويشحذ به الإيمان هو القصص؛ فما علينا إلا أن نسرد عدة قصص بحيث نفهم الموضوع، فهما يسوق إلى العمل:

القصـــة الأولـــى

كان عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم يسيرون في الصحراء في أيام الحر القائض، واشتد بهم العطش حتى كادا يشرفان على الهلاك، ثم تبدت لهما خيمة على مسافة ليست بالقليلة، فتوجها أليها لعلهم يجدون فيها ما ينقذهم من ماءٍ أو ظل أو طعام.

وعندما وصلا منهكين: ارتميا أرضاً، فما لبث صاحب الخيمة أن أسعفهما بكمية وافرة من الحليب فشربا حتى ارتويا، ثم ارتاحا ثم شربا حتى لم يجدا له مساغاً، وبقيت في الإناء بقيةٌ؛ فطلبا من صاحب الخيمة أن يشربها لئلا تتلف بسبب الحر، فرفض ، ولشدة إلحاحهما عليه اضطر أن يخبرهما بأنه صائم.

ولا شد ما تعجبا من كونه يصوم النافلة في هذا الجو الحار، مع كونه يحتاج إلى العمل ومتابعة الأغنام التي يرعاها، ولكنه ذكرهما بأفضلية الصيام في اليوم القائض، وبعظم أجره عند الله تعالى، و بالأحاديث الواردة في ذلك.

ثم ما لبث أن طلب منه أحدهما أن يذبح لهم شاة من هذه الشياه، وهنا اضطر أيضاً أن يخبرهما بأنه لا يملك تلك الشياه، بل إنه عبد يرعى الغنم لأصحابها.... ولكن قال له أحدهما – على سبيل الامتحان – يا أخي اذبحها ونعطيك ثمنها، فإن سألك صحابها أين ذهبت فقل أكلها الذئب.... هنا وقف الرجل لينادي بأعلى صوته: فأين الله ....فأين الله ... فأين الله ....

وقاما يرددان معه فأين الله .... فأين الله .... فأين الله ...([1]) ولما ارتاحا عنده وارتاحا له وخف لهيب الشمس استأذنا بالرحيل، بعد أن عرفا من هو صاحب الغنم .... ولما وصلا إلى مكة، قام أحدهما بشراء العبد من صاحبه وأعتقه في سبيل الله، وقام الآخر بشراء الغنم من صاحبها ووهبها له. و أرسلا من يخبره بذلك ...وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ (الطلاق:3)

القصة الثانية

كان المبارك رجلاً يعمل في بستان القاضي، وكان للقاضي بنت جميلة، طلبها منه عدد من وزراء وأمراء، فاحتار ممن يزوجها ... ثم قال القاضي- في نفسه – دعني اذهب إلى بستاني أُروّح عن نفسي.

فلما وصل ، طلب من المبارك أن يأتي له بحبة رمان؛ فأتى له بواحدة، فلما ذاقها وجدها حامضة، فقال له:

يا مبارك إئتني برمانة حلوة ... فقطع له الثانية فكانت حامضة ... فقال له القاضي: وهذه حامضة أيضاً فأتني يا رجل برمانة حلوة ... وكانت الثالثة حامضة أيضاً.

فقال له: يا رجل لماذا تفعل بي هكذا؟! كلما طلبت منك رمانة حلوة أتيتني بحامضة ...

فقال المبارك: والله إنني لا أعرف الرمانة الحلوة من الحامضة ... فقال القاضي... أرسلتك إلى البستان قبل شهرين ثم تقول لا أعرف الحامض من الحلو ...

فقال: نعم والله إني لم أذق طعم واحدة منها

... فقال القاضي: ولماذا؟

قال المبارك: لأنك أرسلتني حتى أعمل في البستان ولم ترسلني حتى أذوق البستان.

هنا انتبه القاضي إلى أن هذا الرجل هو ممن حث الإسلام على تزويجه؛ فزوجه ابنته التي أنجبت له عبد الله بن المبارك الذي كان علماً من أعلام الإسلام.

3-ابن حبة تفـــاحة:

كان أبو حنيفة النعمان-رحمه الله- علماً من أعلام الإسلام؛ حتى قال عنه الشافعي -رحمه الله – "كل الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة" كما أن أبا حنيفة هذا كان

---

[1] القصة مختصرة جداً من السلسلة النافعة(قصص من التاريخ) لفضليه أستاذنا الشيخ محمد حسن الحمصي .ومذكورة في شعب الإيمان ج: 4 ص: 5291/329

علماً من أعلام التقوى، فلقد قال لابن أخيه يوماً:إجلس في دكاني هذا وبع هذا النوع من الثياب بمائتين، وبع النوع الآخر بأربعمائة، وذهب هو إلى المسجد ليدرّس.

وفي طريق عودته، وجد رجلاً يحمل ثوباً عرف أنه من دكانه،

فقال: ممن اشتريت هذا الثوب قال من دكان كذا–يعني دكانه–

فقال: بكم؟ قال بأربعمائة.

قال: ارجع معي لأرد لك الباقي، فإن ثمن هذا الثوب هو مائتان فقط. فقال الرجل: اشتريه وأنا راضٍ.

فقال: ولكني غير راض عن رفع السعر على المسلمين.

وكان لأبي حنيفة دين على رجل فذهب ليسترده، وحينما جلس تحت شجرة ينتظر المدين وعرف مؤخراً بأن هذه الشجرة التي انتظره تحتها كانت للمدين، فسامحه بالدين كله خوفاً من أن يقع تحت قاعدة (كل قرض جر نفعاً فهو ربا) الدر المنثور /للسيوطي/ج5ص350–).

وكان أبو حنيفة –رحمه الله – علماً من أعلام العبادة وذلك أنه قال في آخر حياته (ولقد صليت الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة) صلاّها في الصف الأول لأنه قال (وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة أربعين سنة).

وسبب ذلك: أنه كان في بداية حياته يقوم نصف الليل، فسمع رجلاً يقول رجل: هذا الشيخ يقوم الليل كله، فقال إنني استحي من الله تعالى أن يقال عني: أنني أقوم الليل كله وأنا لا أقوم إلا نصف الليل.

ولو ذهبنا نتتبع فضائل أبي حنيفة لاحتجنا إلى مجلدات.... ولكن لو سألنا أنفسنا من هو أبو حنيفة؟! إنه ابن حبة تفاحة فما هي تلك القصة...

كان رجل يسير في الطريق فوجد بستاناً، فدخل إليه وتوضأ للصلاة، وشرب من الماء، وفي أثناء ذلك مرت حبة تفاحة مع الماء من أمامه فالتقطها فأكلها – أو أكل منها – ثم تذكر أن ومن واجبه أن يلتقطها – حفاظاً على مال الأمة– وليس من واجبه أن يأكل منها لأنها ليست ملكه (راجع إن شئت كتابي خمس موبقات في علم الاقتصاد).

وهنا بدأ يبحث عن صاحب البستان، فظهرت له دار بجانب البستان، فاتجه إليها، وعندما طرق الباب خرج إليه شيخ بشوش الوجه، فاستبشر خيراً، وحكى له القصة وطالبه بالمسامحة ...

ولكن الشيخ أبى قائلاً: أتأكل تفاحنا وتطلب مسامحتنا؟!

... قال له الشاب: إذا ، خذ الثمن.

فقال الشيخ: عندي ابنه عمياء صماء مقعدة، فإن تزوجتها سامحتك، وإلا فلا ...

قال له الشاب: وما دخل الزواج بالتفاح؟

قال الشيخ: إنما البيع عن تراض.

وهنا وافق الشاب بالزواج منها على مضض، ذلك أنه أهون عليه من عذاب الآخرة...

وعندما دخل إلى زوجته وقفت في وجهه... فقال: السلام عليكم، فقالت:وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فقال لها: أأنت أنت؟

فقالت: أنا، أنا والله ليس لي سوى والدي، وليس لوالدي سواي...

فوجدها من أجمل النساء خلقاً وخلُقاً ووجدها تحفظ كتاب الله وعشرة آلاف حديث وعشرة آلاف بيت من شعر الحكمة... وفي الصباح جاء الشيخ يبارك لهما...

فقال الشاب: يا عمي أشكرك على هذا النسب الطيب، ولكن لماذا فعلت ذلك بي؟

قال: إنني يجب أن أزوج ابنتي من رجل يتقي الله تعالى فأردت أن امتحنك.

قال الشاب: ولكنك وصفتها بما ليس فيها.

قال: كلا والله...إنها عمياء لم تنظر إلى رجل لا يحل لها النظر إليه، صماء لم تسمع من رجل لا يحل لها السماع منه، مقعدة لم تخرج من هذا البيت مطلقاً.([2])

من هذا الزواج المبارك أنجب هذا الولد المبارك الذي يتبع مذهبه الناس في ربع بلاد المسلمين في هذا العالم الآن.

4-أما عمر بن عبد العزيز: ذلك الخليفة الأموي، الذي يعده المسلمون على أنه الخليفة الراشدي الخامس لعدله وروعه وزهده وتقواه...

فلقد بويع في المسجد الأموي بالخلافة على أساس وراثي، فاستعفى منه، ثم صاح به أهل المسجد مبايعين من كل قلوبهم، مناشدين إياه أن لا يتركها لغيره، إذ كيف يتركها الصالح للطالح؟!

فقبلها على أساس شوري، ثم خرج من المسجد إلى بيته ماشياً تاركاً الركوبة الموشاة بالذهب والحرير؛ لأنها حرام.ولما وصل البيت قال: السلام عليكم.

فقالت زوجته بتدلل و تبريك: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين.

قال: يا فاطمة من أين لك هذا الذهب؟

---

[2] يقال أن المرأة كانت تخرج من البيت ثلاث مرات : الأولى من بطن أمها ، والثانية من بيت أبيها إلى بيت زوجها، والثالثة من بيت زوجها إلى القبر.

قالت باستغراب: هذه الحلية من أبي الخليفة، وهذه من الخليفة أخي، والثالثة من أخي الخليفة الثاني... الخ

قال: يا فاطمة اختاري.

فقالت ماذا اختار؟ هل الذهب أم الفضة؟ قال: بل اختاري إمّا أنا وإمّا الذهب؟

قالت: ماذا فعل به؟ قال: ترجعيه إلى بيت مال المسلمين.

هنا عرفت فاطمة أن زوجها يريد أن يقوم بحركة إصلاحية واسعة، وفهمت أن البداية لا بد أن تكون من بيت الخلافة.

فقالت: والله لا أختار عليك أحداً يا أمير المؤمنين، وأعادت جميع حليها إلى بيت مال المسلمين، فلما توفي قال لها أخوها الخليفة:

لقد مات عمر فهل أعيد لك حليك فهو لا يزال بحاله.

فقالت: فاطمة والله ما كنت لأرضيه وهو حي و أسخطه وهو ميت...!

وفي إحدى الليالي كان عشاء بناته عدساً مع بصل فقط؛ فقامت إحدى بناته لتقول:

يا والدي لقد عم الخير على يديك كل بلاد المسلمين ماعدا بيتك، وفرح بك كل المستضعفين ما عدا بناتك، واستغنى بك كل المحتاجين و أفقرتنا نحن ([3]) فقال فيهن خطيباً ومحدثاً يذكرهن بأيام الصحابة الأولى وما كان عليه حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته الطاهرات... فما خرج من عندهن إلا وهن يبكين ...

وفي العيد طالبه أبناؤه بلباس العيد الذي لم يكن يجد ما يشتريه لهم به من المال.... وحينما صعد المنبر قال بخطبته المشهورة:

أيها المسلمون ليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن خاف الله ويوم الوعيد.

وفي بلاد المغرب الإسلامي جمعت الزكاة من الأغنياء، ولكن لم يأتي أحد من الفقراء لأخذ الزكاة ... قال عمّال الزكاة: لعل أحد الفقراء يكون مريضاً أو عاجزاً أو أصمّاً، فاذهبوا إلى البيوت ودقوا الأبواب... فلم يجدوا أحداً يأخذ من الزكاة شيئاً ([4]) قائلين لقد أغنى عمر الناس.

---

[3]) في الحقيقة إما أن يشبع أولاد الخليفة و إما أن يشبع أولاد المسلمين وإذا كان لابد من ذلك فقد اختار عمر أن يشبع أولاد الملايين من المسلمين.

[4]) هذا يدل على غنى النفس بعد غنى المال، أما في هذه الأيام فلو طرقت باب بيوت بعض المترفين وناولته مليوناً من الزكاة لقال له : هل من مزيد ؟

هنا قام عامل المغرب – العامل هو الوالي– بإرسال رسالة إلى عمر يخبره بأنه سيرسل هذا المال إليه([5]) ولكن عمر رفض ذلك رفضاً قاطعاً، فما كان من والي المغرب إلا أن اصدر الأمر التالي:

من كان أعزباً ولم يكن عنده مهر فزواجه من بيت مال المسلمين، فزوج الشباب.

ولكن المال لم ينفد فقال: من كان عبداً لا يجد عتقاً فعتاقه في بيت مال المسلمين، فحرر العبيد ... ولكن المال لم ينفد أيضاً، فقال:

من كان عليه دين ففكاكه في بيت مال المسلمين...

وبقيت في بيت المال بقية ادخرت للمستقبل. ([6])

ويروى أن رجلاً في البرية قد رأى وحشاً يعدو على غنمه فقال: أشهد بالله أن عمر بن عبد العزيز قد مات... وعندما عاد إلى المدينة وجد أن عمر قد مات حقاً...

ولو تتبعنا سيرة هذا الإمام العادل، والخليفة الراشد والملك الزاهد لوجدنا أنه ابن بنت بائعة الحليب ، فما قصتها؟

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتجول في الليل يتفقد رعيته، ووصل إلى بيت وسمع فيه امرأة تقول لابنتها: قومي يا ابنتي فامذقي اللبن– أي اخلطي الحليب بالماء–

فقالت: يا أمّاه ، إن عمر قد نهى عن ذلك.

قالت العجوز، وما يدري عمر بنا الآن.

قالت البنت: يا أماه إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا...

وفي الصباح جمع عمر رضي الله عنه أولاده وحظهم بأن يتزوجها أحدهم ([7]) فتزوجها عاصم لتقواها؛ فولدت له بنتاً تزوجها عبد العزيز فولدت له عمر فكان أشبه الناس بعدالة عمر ﷺ.

ويطيب لي هنا أن أذكر قصتين فقط وقعتا في هذا القرن ليعرف الناس أن الخير في هذه الأمة باقٍ إلى يوم القيامة:

---

[5]) في النظام الإسلامي للزكاة تقوم كل قرية بجمع الزكاة فيها من الأغنياء لتوزع على الفقراء، فما زاد ذهب به إلى المدينة لتوزع على قرى المنطقة إن كانت محتاجة، فما زاد ذهب به إلى المدينة الكبرى ليتوزع على أي منطقة في القطر، وما زاد ذهب به إلى العاصمة لكي يوزع على البقية، أو يحجز لحاجات المسلمين المستقبلية.(راجع إن شئت كتابي خمس موبقات في علم الاقتصاد:فصل عدم أداء الزكاة هز العالم مرتين في القرن العشرين)

[6] هكذا بقيت الأموال تتمرغ على أعتاب أمراء الإسلام لم يذهب بها هنا وهناك.

[7] إن سيدنا عمر (رضي الله عنه) قد اخبر أولاده بأنه لو كان له حاجة بالنساء لما سبقه إليها أحد ... وهذا على عكس بعض من ينتسبون إلى الإسلام ممن لا مؤهل للزواج عندهم سوى المال.

الأولى: أن رجلاً من قرية (بير زيت) قد باع جماعة من حوران بئراً كاملاً من الزيت ودفعوا ثمنه ذهباً وحملوه على جمالهم، ونزلت بناته إلى البئر ليغسلنه استعداداً للموسم المقبل، فوجدن فيه عدداً من الفئران الميتة ، فأخبرت والدهن بذلك...

فما كان منه إلا أن ركب فرسه وأخذ الذهب وسار مسرعاً في أثر الركبان، حتى وصل إلى منطقة في عجلون تسمى إلى الآن- مكب الزيت- حيث أرجع لهم نقودهم، مقابل أن يريقوا الزيت الذي معهم، وفعلوا ذلك، علماً بأنهم عرضوا عليه بأساليب شتى أن لا يفعل ذلك، ولكنه أبى خوفاً من الله تعالى.

والثانية: ذهبت لزيارة صديقي " علي " في بيته فتعرفت على والده الذي كان يعيش في بيته المرتب، وكأنه ملك سعيد... زوجه مصونة مطيعة، له عدة أولاد مصلون مطيعون، أراض كثيرة مرتفعة الثمن، بنات مستورات متزوجات، وعندما تبادلنا الأحاديث سألته مؤخراً:

كم ترك لك والدك من المال؟ قال: سلة بيض، قلت: ماذا تفعل سلة البيت حتى تجلب لك كل هذا المال؟! وإن جلبت لك المال فكيف جلبت لك السعادة؟ هنا قال يا ولدي أحب أن أحدثك حدياُ تنتفع به إن شاء الله تعالى:

يا ولدي كنت يتيماً أو قال لطيماً – لا والد لي ولا والده – وكنت صبياً احمل سلة اجمع فيها البيض مقابل ما أبيع من العاب للأطفال وابر و خيطان للنساء، فأبيع هذا البيض للتاجر مقابل الإبر و الخيطان ، وكانت تجارة لا تكاد توصلني إلى حد الكفاف، وكبرت و أصبحت شاباً وسيماً وأنا على ذلك ....

وفي أحد أيام الصيف القائظ وفي حرّ الظهيرة، وقد كان الجوع والعطش والتعب يأخذ مني كل مأخذ، وإذا بامرأة تقول لي:ادخل لتأكل لقمة طعام فإن الجوع قد أثرّ في محيّاك.

فقلت في نفسي هذه ابنة حلال تريد أن تحسن إلي، فدخلت وقلت لها: هل يمكن أن أتوضأ وأصلي قبل أن تعدّي لي الطعام؟

فقالت: يا سلام وضوء وصلاة، اعلم يا فتى أنك وقعت في المصيدة، ولئن لم تفعل ما آمرك به لأملأن عليك الحارة صياحاً، ثم من يصدّق أنك بريء؟

عندها عرفت أنه لا مجال لي سوى التحايل عليها فقلت لها: لا بأس لكنني مضطر للذهاب إلى المرحاض (بيت الخلاء)، ثم لابد لي من غسل وجهي على الأُقل فأنا متعب.

فقالت: لا بأس عليك اذهب إلى الطابق الثاني الذي لا تستطيع الهرب منه، علماً أن سلة البيض عندي.

قال: فدخلت الحمام فوجدته عالياً ووجدته نافذته ضيقة نوعاً ما، فقلت في نفسي: سأحاول القفز من هذه النافذة بشق الأنفس.

وقفزت منها بعد مجاهدة ، ويسرّ الله لي كوماً من الرمل الناعم فسقطت عليه، ثم هربت بعيداً عن البيت وقمت بإزالة ما علق بي من الرمل، وتفقدت نفسي فلم يكن في والحمد لله كسر ولا جرح، كما أنه لم يشاهدني أحد؛ لأن الناس كانوا جالسين في بيوتهم في حر الظهيرة.

ولكن لأشد ما بكيت عندما تذكرت سلة البيض وهي مصدر رزقي الوحيد وقلت:

يا رب ليس لي أمل سواك، وبعدها يا شيخ زكريا صارت تأتي إليّ الأموال من حيث أعرف ومن حيث لا أعرف وصدق الله العظيم:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ (الطلاق:3).

والآن أرحب بأسئلتكم و مشاركاتكم

س1: رأيتك تمدح أبا حنيفة كثيراً، فهل أنت حنفي المذهب؟

ج1: أنا ليست حنفي المذهب، ولكن ذلك لا يمنعني من أن أحترم العلماء؛ ذلك لأنهم السلف الصالح الذي حفظه الله تعالى بهم دينه، ولأن الأدب وحسن الخلق وذكر الآخرين بالخير هي من سمات المسلمين الأساسية التي لا يجوز تجاهلها، انظر لقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر:10)

وكان أحمد بن حنبل يقول عن الشافعي رحمهما الله تعالى (الشافعي كالعافية للبدن وكالشمس للدنيا).

وأريد أن أذكر لك هذه القصة لكي تعرف مدى ما كان بين هؤلاء العلماء الأكابر من المحبة والاحترام ....

فلقد كان أحمد بن حنبل – رحمه الله– يمدح الشافعي بغيابه أمام أولاده كثيراً... وفي أحد الأيام جاء الشافعي لزيارة الأمام أحمد – رحمهما الله تعالى – وفي صباح اليوم التالي قلت ابنة احمد لأبيها:

مدحت لنا الشافعي كثيراً ولكنه يا للأسف أكل كثيراً، ونام طول الليل وقام يصلي الفجر بلا وضوء... ، وتعجب أحمد من دقة ملاحظة ابنته هذه على صغر سنها وسأل الشافعي عن ذلك ... فقال:

تضلعت من طعامك رجاء البركة، ولئلا أشغلك بخدمتي فقد تظاهرت بالنوم طول الليل، بينما كنت أتفكر بحديث ((يا أبا عُمير ما فعل النغير))(البخاري6129) فاستخرجت منه تسعا وتسعين فائدة ([8])، وأما إني قمت إلى الفجر بلا وضوء فلأني لم أنم أصلاً حتى يلزمني الوضوء.

ولكي نعرف كيف تلازمت عندهم التقوى مع المحبة أذكر لك هذه القصة:

فإن ابناً لأحمد بن حنبل قد تولى القضاء، وكان القضاء شرعياً يحكم فيه بشرع الله بكافة القضايا الجزائية والحقوقية والأحوال الشخصية. وكان القاضي نزيهاً ولكن أحمد بن حنبل رفض أن يذوق من بيت ابنه لقمة طعام واحدة بعد ذلك.

وفي أحد الأيام احتاج أهل الدار خميرة لعجينهم فأخذوها من بيت القاضي، فلما قدم الخبز للإمام أحمد قال لهم: ما الذي غيرتموه في هذا الخبز؟

قالوا: إن خمرته من بيت القاضي، فامتنع عن تناوله، وقال: تصدقوا به على الفقراء وبينوا لهم عيبه، فامتنع الفقراء عن تناوله، فأمرهم بإلقائه في البحر، وامتنع بعد ذلك الإمام أحمد من تناول السمك، الذي قد يكون تناول من هذا الخبز !

أنه كلام يكاد يشبه الخيال... ولكن هذا الطعام الذي كان منزهاً عن الشّبه هو الذي كان يساعده على الصبر على الضرب حين ضرب لكي يفتي بما لا يعتقده، وحين توفي احمد خرج في جنازته ألف ألف رجل وخمسمائة ألف امرأة، أما اليوم:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائهم

س2:لماذا الاختلاف بين المذاهب طالما أن هذا الحب كان بينهم؟

ج2: اذكر وأنا طالب في المعهد الشرعي قد كنا نفصل عن بعضنا البعض في حصة الفقه، فالشافعيون في قاعة و الحنفيون في قاعة أخرى، ولشدة جهلي وصغر سني فقد كنت أكره الحنفيّة وأظن أنه ملة أخرى، أو لعل من الخير أن نجاهدهم!

وفي إحدى الحصص مرض أستاذنا فجمعونا على الأستاذ الآخر، وكان هذا الأستاذ الحنفي في غاية الأدب والتفهم، فاستغل الفرصة لكي يفهمنا الموضوع.

فعلمنا أولاً: أن الأئمة الأعلام كانوا يحترمون بعضهم البعض.

و أفهمنا ثانياً: أن الاختلاف في الأحكام لا يعني اختلاف القلوب أو التنافر بيت الاتباع.

---

[8]) في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري ج 10 للعلامة الهمام ابن حجر العسقلاني سرد أكثر من مائة فائدة في شرحه لهذا الحديث جمعها من كتابين، وزاد عليهم 15 مسألة أيضاً، فراجعها في كتاب الطب من ذاك الكتاب المفيد –بإذن الله تعالى- إذا أردت .

وذكر لنا ثالثاً: أن العقيدة واحدة وأن المسلمين مجمعون على عشرة آلاف مسألة فقهية على الأقل، مثل:أن الصلاة المفروضة خمس صلوات، وأن الظهر أربع ركعات، وأن السجود بعد الركوع، بينما غيرنا مختلفون في عقيدتهم؛ فالنصارى مثلاً اختلفوا هل المسيح هو الله؟ أم ابن الله؟ أم عبد الله؟ أم ثالث ثلاثة؟ اختلافاً يكفر به بعضهم بعضاً(راجع إن شئت كتابي: قصة: قرأت القرآن والإنجيل فأسلمت) بينما نحن لا يكفر بعضنا بعضاً، ولا يفسقه ولا يبدعه...

ثم ذكر لنا هذا العالم الفاضل: أن الصحيح يتعدد وأن الحق لا يتعدد، فلو سألت عن 5+5 كم تساوي؟ فالجواب واحد هو 10 لا أقل ولا أكثر، وهذا هو الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال. أما لو أردنا بناء مسجد لاقترح بعضهم أن يكون مربعاً، فقال الآخر: الأحسن أن يكون مستطيلاً، فقال الثالث الأولى أن يكون مدوراً ولكن الرابع قال: ولماذا لا يكون مضلعاً، فكله مسجد وكله بيت الله وكله ابتغاء مرضاة الله ، وكل واحد يحب أن يخدم هذا الدين بكل ما لديه من طاقة.

وخرجنا من هذه الحصة ونحن نحب بعضنا البعض، ونحترم وجهة نظر الآخرين.

س3: هل كان أبو حنيفة يصلي واقفاً طول الليل؟

ج3: قيام الليل لا يعني الصلاة فقط؛ وإنما يعني تكريس الليل كله لعبادة الله تعالى؛ فالصلاة عبادة، وقراءة القرآن عبادة، وحتى النوم بنية التقوّي على العبادة عبادة؛ فمفهوم العبادة في الإسلام واسع يشمل كل عمل يتقرب فيه إلى الله تعالى. والنوم عبادة فإذا كانت والشخص مسند ظهره للحائط فإنها لا تنقض الوضوء.

س4: هل الجلوس تحت الشجرة ربا، وهل خلط الحليب حرام؟.

ج4: الجلوس تحت الشجرة ليس له ثمن حتى يكون ربا، ولكنها قلوب مرهفة تخاف أن تحاسب أمام الله تعالى عن النقير والقطمير. وإذا كان الأطفال يغصون لابتلاعهم قطعة نقود؛ فهناك آخرون لا يغصون ولوابتلعوا الشفرات أو الملايين فكل حسب إحساسه يا آخى.

أما الحليب الذي تشربه فيجوز لك أن تخلط بما شئت من الماء، لكن أن تخلط الحليب وتبيعه للناس على أساس أنه غير مخلوط، فهذا هو الغش بعينه. (راجع إن شئت كتابي خمس موبقات في علم الاقتصاد/ فصل الغش مجموعة خسائس).

س5: هل يصح للإنسان أن يأكل من بستان بشرط أن لا يأخذ معه إلى الدار شيئاً؟

ج5: إذا وصل الإنسان إلى حد الخوف من الموت جوعاً، جاز له أن يدخل البستان وأن يأخذ فقط ما يُبقي على حياته، وبعد ذلك عليه أن يذهب إلى صاحب البستان وأن

يدفع له ثمن ما أكل ... وإلا فإني أخاف أن يخرج الولد الكائن من هذه اللقمة ابن حرام ...

ولقد ذكر لي قصة عن رجل صالح خلّف أولاداً صالحين ما عدا ولد واحد كان على غير ذلك ... ولم يأل هذا الولد جهداً في إصلاح ولده، وفي أحد الأيام قال له بعض العلماء:

لعلك أكلت لقمة حرام، فكان منها هذا الولد، فتصدق على فقير محتاج بهذه النية، فلما فعل ذلك، صلح ولده.

وقيل لبعض الصالحين: عظني، قال: هل أعظك بما سمعت أم بما رأيت؟ قال: بل بما رأيت لأنّ ذلك أبلغ، قال:

لمّا كان عمر بن عبد العزيز على فراش الموت قال له بعضهم: ما تركت لأولادك قال: أسندوني، فلما أسندوه قال:

إن أولادي أحد رجلين: إمّا ظالم، فلا أترك له مالاً يعصي الله فيه وأحاسب عليه، وإمّا صالح والله تعالى يقول:(وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) فو الله لقد رأيت ابناً لعمر يركض في يوم واحد مائة فرس في سبيل الله، ورأيت ابناً لعبد المالك بن مروان يسأل الناس على نهر دجلة فيتصدقون عليه.

س6: ما هي مظاهر التقوى؟!

ج6: ورد ذكر التقوى في القرآن الكريم حوالي 255 مائتين وخمس وخمسين مرة، ولكن إليك هذه الآية الجامعة (البقرة:177) قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ومن مظاهر التقوى في السنة المطهرة حديث ((سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله)) (البخاري:660):

1-(إمام عادل) فكونه مسؤولا وكل يخطب وده، وكان يستعمل العدل فلا يظلم، فإنه يستحق أن يقيه الله من حر جهنم لأنه اتقى الله في رعيته، علماً بأن الأمام العادل يشمل كل مسؤول ((فالرجل راع في أسرته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها))(صحيح البخاري 893)-

حتى أن الدجاجة والهرة تدخل في هذا الباب؛ لحديث (دخلت امرأة الناس في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من حشاش الأرض حتى ماتت) – البخاري من حديث ابن عمر/ الجامع الصغير.

2-(وشاب نشأ في طاعة الله) فالشباب قطعة من الجنون، وعجب ربك لشاب لا يخطئ، فلو وقع في الخطأ، فإنه سرعان ما يعود ويندم ويتوب، ولا يمضي وقته في اللهو واللعب، فإذا ما قرأ كان هدفه من القراءة هو إرضاء الله تعالى، وإذا صاحب فإنما يصاحب الأتقياء، ويتباعد عن أصدقاء السوء.

3-(ورجل قلبه معلّق في المساجد) فالمؤمن في المسجد كالسمك في الماء لا يحب أن يخرج والمنافق – والعياذ بالله – كالعصفور في القفص لا يريد أن يبقى، تجد الخطيب يتكلم في أهم موضوع، وهو ينظر إلى الساعة ... الخ.

4-(ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)، فإنهما يجتمعان لا لتجارة ولا لنسب ولا لمال وإنما لله، وعلامة ذلك: إنه إذا توجه أحدهما إلى الشر فإن رفيقه الآخر سيحاول جهده أن يثنيه عن المعصية، فإن أبى قاطعه لأجل الله تعالى، لأن (الأخلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ) (الزخرف:67)

5-(ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) وهذا كناية عن شدة الإخفاء، وإنني أذكر وأنا شاب، أن أحد الناس قد قام بوضع سجادة ثمينة في المسجد وفرّ هارباً، وإذا بداخلها ورقة مكتوب عليها (من عبد الله إلى بيت الله).

6-(ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) وهذا كما مر معنا وكذلك سيدنا يوسف عليه السلام حينما قال: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) (يوسف:33)

7-(ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) رجل عرف تقصيره في جنب الله وتفكر في عذاب الله، فما كان منه إلا أن انهمرت دموعه خوفاً وطمعاً وفي حديث آخر (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)(الترمذي:1639)

س7: ما هي ثمرات التقوى؟

ج7: ثمرات التقوى كثيرة جداً فأهمها أن التقوى + الإيمان = الولاية لله تعالى (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (يونس:63) 2.ويكفي أن الله تعالى جعل أهل كرامته المتقون:(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)(الحجرات13).

أن الله وليهم ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الجاثـــية19)

4.(إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) الأعراف: 128

5. ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(المائدة: من الآية27)

6.﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)

7. ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾

8. (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾

9. ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً *وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرا﴾ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾(الطلاق: 5)

11. (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(البقرة212).

س8: أنّى للإنسان أن يحصل على التقوى؟

ج8: التقوى كما تعلم تحصل من مراقبة الله تعالى، وهذه تحصل بالتدريج، فلو نظرنا إلى حديث جبريل (عليه السلام) حين قال أولاً اخبرني عن الإسلام، ثم قال أخبرني عن الإيمان، ثم قال اخبرني عن الإحسان، أنظر إلى قوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخل ا لإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾(الحجرات:14) و(لم) في اللغة العربية غير (لما) إذ (لما) تنفي حصول شيء ولكنها تنتظره ... ونحن سنعرض آيات من كتاب الله تعالى تبين الأشياء التي غالباً ما تؤدي إلى التقوى:

1- العبادة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:21)

2- الصيام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:183)

3- التفكر في القرآن ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

4- التفكر في المخلوقات: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (يونس:6)

5- ترك الحرام:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:278)

6- تذكر الموت والبلى:﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:281)

7- إتباع أوامر ﷲ تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام:155)

8- الصدق وقول الحق:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:119)

9- تعداد نعم المولى ﷻ ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (الشعراء:132)

10- الدعاء والطلب من القادر:﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾(الفرقان:74)

س9: إلى أي مدى يكون تقوى الله عز وجل؟

ج9: إن الله أمر كل نبي أن يبلّغ قومه بأن يتقوى الله تعالى﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّه﴾(النساء:131)

وحين قال بعض الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) يا رسول الله شبت، قال: ((شيبتني هود وأخواتها))- (الترمذي /التفسير /ح3297)- قيل إن الذي شيبه قوله تعالى (فاستقم كما أمرت) حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾(التغابن:16)

وللحقيقة أقول: الأعمى مثلاً لا يستطيع أن يسرق؛ لأنه يخاف من المبصرين حوله، فإنه وإن لم يكن ليرى الناس فإن الناس ينظرون إليه، وكذلك يجب على الإنسان أن يراقب الله تعالى ، (قال:اخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)-(البخاري/كتاب الإيمان/ح50)

فإن أدركت الإنسان غفلة فعليه أن يعود ويتذكر(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (لأعراف:201) وليس يعني ذلك العصمة، لأنه تعالى تحدث عن المحسنين فقال سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:135)

وملاك التقوى أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك

والحمد لله رب العالمين.